قضية الكتاب العربي

قضية الكتاب العربي في يومنا هذا هي قضية الفكر العربي الاولى والأخيرة ، وقضية الفكر العربي هي قضية الحرية — حرية التفكير والتعبير . فعلى الرغم من جميع مظاهر التقدم المادي في وسائل التأليف والطباعة والنشر والترويج، لا يزال الكتاب العربي مهدداً بالحرق والمصادرة والاضطهاد اذا لم يلتزم سبيل الاتّبـــاع . فالكتاب العربي لا يستطيع ان يخرج عما تفرضه غوغائيـة الشارع وتعصب المتزمتين من رجال الدين واهواء الحكام المستبـدين ومصالحهم . فسواد الشعب جاهل لم يفسح له المسيطرون مجالاً الا للتعلّل بخرافاته ، وهو حريص عليها حرص البخيل على الدرهم . ورجال الدين من جميع الملل والنحل يخشون الكتاب الحر الطليق لا خوفاً على كتبهم المنزلة بل خوفاً على هيمنتهم القائمة في اغلب الاحيان على الجهل والظلام . والحكام يخشون الكتاب لان سلطانهم قائم على القوة والاكراه لا عـــلى الحرية والاختيار . وصراع الكتاب العربي هو صراع الحق الاعزل ضد الطغيان المسلح ، صراع العلم ضد الخرافات ، صراع المعرفة ضد السحر ، صراع الروح ضد المادة .

وقد دوّن لنا التاريخ الكثير عن مصادرة الكتب وحرقها وعن ملاحقة أصحابها والتنكيل بهم عند جميع الشعوب . وفي حين نرى ان اكثر الشعوب المتقدمة قد اجتازت تلك المرحلة من تاريخ تطورها ونال الكتاب بين ظهرانيها الحرية والانطلاق ، لا يزال الكتاب العربي مكبلاً ملجماً مهـــدداً بالحرق والاضطهاد ، ولا يزال الكتّاب الاحرار مهددين بالتنكيل والتجويع .

نقل زميل من زملائي كتاباً من إحدى اللغات الاجنبيـة جديراً بانتباه القارىء العربي لا لما يحتويه من آراء وفكر قيمـة فقط بل لما يشتمل عليه من غيرها خاطئة بعيدة عن الصواب . وقدم زميلي الكتاب الى دارين من دور النشر العربية فردتـه الاولى لانها خشيت غضب الشارع ورجال الدين والحـــكام ، ودفعت به الثانية الى حَكَم ليعلق على نقائصه ويشير الى محاسنه فحكم عليه بالوأد ودسه في غياهب الدار . ووأد الكتب كوأد البنات عادة روحها جاهلية . والكتاب في كل بلد عربي لا يزال تحت رحمة الشارع ورجال الدين والحكام . ولن يتبوأ الكتاب العربي مركزه اللائق بين كتب العالم ما دامت جماهير الشعب العربي جاهلة يسيرها ذوو المصالح من رجال الدين وما دام الحكام يحاربون كل نسمة من نسمات الفكر الحر الطليق خوفاً على مصالحهم القائمة .

ان الكتاب لا يحيا الا في الآفاق الواسعـــة ، والفكر لا يعيش وينمو الا في الاجواء الحرة . وليس للكتاب حـدود ثابتة كما ليس للفكر حدود ثابتة ، وليس لهما طلاسم من السحر تقيهما منافسة الفكر والكتب الاخرى . ولا يجرؤ على التفكير الحر والكتابة الحرة والقراءة الحرة الا الرجل الحر ، وبالتفكير الحر والتعبير الحر فقط يستطيع الكتـــاب العربي ان يؤدي الرسالة المرجوة منه في بعث روح الحرية والانطلاق وتغذيتهما لدى العرب حتى تستقيم للعرب مكانتهم في التاريخ وتتفتـــح امامهم الفرص للمساهمة الحرة في بنيانه .

فعلى الكتّاب العرب ان يثابروا على الجهاد في سبيل حرية الكتاب العربي المطلقة مهما يعترضهم من مصاعب وعقبات ومهما يمعن المسيطرون من رجال الدين والحكام في التنكيل بهم وفي تجويعهم ومصادرة كتبهم حتى يتثقف الشعب ويصبح الدعامة الكبرى في حرية الكتاب والضمانة الاولى والاخيرة للمحافظة عليها . والكتاب القيم يمثل سلافـة الحياة وعصارة الدماء التي تجري في عروق النفس العبقرية يحفظها في طياتـه من جيل الى جيل . فمن قتل كتاباً قتل الحياة وقتل الخلود نفسه .

نبيه امين فارس